

حماية المبادرة الوطنية للتنمية البشرية من مسؤوليها

عبد الله البقالي

جريدة "العلم"

2006/12/12

نحن في حاجة الى وقفة تأمل، يتم خلالها العمل على تكثيف الايجابيات وتدارك السلبيات التي لا يمكن الاطمئنان إليها، إن المغاربة يطالبون بترشيد التعاطي مع المبادرة الوطنية للتنمية البشرية.

لاقت المبادرة الوطنية للتنمية البشرية تجاوبا كبيرا من طرف الفاعلين والرأي العام، وبدأت في الوهلة الأولى أنها إضافة وازنة ستفتح آفاقا واسعة جدا أمام التنمية الاجتماعية وتمكن القضية الاجتماعية من أن تأخذ موقعها الذي تستحقه في اهتمامات كافة الأوساط.

ولم يكن خافيا أن ملاحظات جوهرية حول المبادرة أثار أصحابها أن لا يعلنوا عنها بالصراحة الكاملة من قبيل أن البرنامج الحكومي في المجال الاجتماعي كان ولازال في حاجة ملحة إلى تكثيف قوى ببرامج فاعلة وتمويلات جديدة، ومع ذلك سادت قناعة موازية أخرى ترى أن إشراف جلالة الملك على هذه المبادرة الوازنة والمفيدة سيضع جميع الأجهزة الرسمية وكافة المسؤولين أمام مسؤولية جسيمة. فكثير من هؤلاء قد لا يكتفون بتنفيذ برامج حكومية هامة، وبعضهم قد لا يجد فرقا أو تمييزا مع الوزير الذي يشرف على القطاع الذي ينتمي إليه، فكلاهما معين بظهير وبذلك قد لا يشعر بأدنى حرج في عدم الإكتراث بتوجيهات وزارية، ومع مثل هؤلاء يكون إشراف جلالة الملك مفيدا للغاية ومثمرا، إنها صورة لمغرب يعاند أماله من أجل التغيير، لكنها الثقافة الحقيقية التي تجعل من المتطلعين إلى هذا التغيير وكأنهم يسبحون ضد التيار.

إن الرأي العام يعاين أن المبادرة الوطنية للتنمية البشرية ساهمت لحد الآن في تلبية حاجيات ملحة لمجموعات سكانية كانت تعاني الإقصاء والتهميش، والفقر والتخلف، لكن هذا الإقرار لا يلغي ملاحظات نعتبرها مهمة تفرض الضرورة الانتباه إليها من أجل أن تحافظ هذه المبادرة على بريقها وأهميتها التي اكتسبتها من تجاوبها مع الحاجيات الحقيقية للسكان المهمشين.

إن الحماس المفرط لبعض المسؤولين المحليين والإقليميين نحت في اتجاه التقليل من أهمية هذه المبادرة بإغراقها ببعض المشاريع الصغيرة والتافهة التي لا ترقى إلى مستوى وحجم المشروع الاجتماعي، وبدأ أن هؤلاء المسؤولين يبحثون عما يتسترون به عن عجزهم في تدبير الملف برمته، وهكذا لاحظنا أن مشاريع بسيطة جدا نزلت بالمبادرة إلى حد تربية أرانب أو ماعز بأعداد قليلة جدا قد لا تتجاوز أصابع اليد، وأخرى توزع محافظ على ثلة من التلاميذ بمناسبة الدخول المدرسي وأخرى تنظم دوريا لكرة القدم وغيرها من الحركات التي لا يكون

الهدف منها المساهمة في المبادرة بقدر ما ينحصر هذا الهدف في التقاط صورة لمسؤول وهو يشرف على العمل، أو فقط ليجد المسؤول ما يكتبه في التقارير الرسمية التي يكون بعضها غارقا في التفاهة. إن مسؤولين كثر لا يميزون بين مشاريع كانت مبرمجة، ولا علاقة لها بالمبادرة، ومشاريع أخرى يجب أن تنخرط في عمقها تتوصل إليها اللجان المتخصصة بعد إجراء الدراسات اللازمة، مع تحديد الأهداف المتوخاة بدقة متناهية، أما أن ننساق مع جهود مسؤولين محليين وإقليميين قد تكون نتيجة حماس زائد أو سوء تقدير أو حتى محاولة الظهور في صورة المسؤول الممثل، الذي يحسن التنفيذ.

إن أداء من هذا النوع وبهذه السطحية يهدد بإفراغ المبادرة من محتواها الحقيقي ويجعلها لا تختلف عن برامج مشابهة أعلن عنها في مغرب الماضي واتضح أنها لم تكن مجدية.

إن بعض اللجان المحلية والإقليمية التي يرأسها منتخبون ومسؤولون مارست محاباة ومعاملة لاعتبارات انتخابية صرفة، وهكذا تلقت جمعيات ذات أفق محدود وصيت يكاد يكون منعدما من دعم مالي لتمويل مشاريع اتضح أنها لم تكن بالمضمون الذي يؤهلها للانتماء للمبادرة الوطنية للتنمية البشرية، إن هذا الأداء كان ولا يزال يضر بفلسفة المبادرة الوطنية للتنمية البشرية، مما يحتم الانتباه لتدارك ما يمكن تداركه.

إن أهمية هذا المشروع تكمن أساسا في حمايته من الأضرار الذي تلحق به والتي قد تكون على شكل جهود لا تكون صائبة، إن الحاجة واضحة الآن الى إثارة انتباه المسؤولين المحليين والإقليميين إلى ترشيد الأداء والحرص على أن لا تنزل المبادرة إلى مستوى لا يليق بها، لابد من حمايتها من المسؤولين عليها.

أخال أن الوضع في حاجة إلى وقفة تأمل، يُجرى خلالها تقييم الحصيلة المنجزة لحد الآن، وتقييم للأداء المنجز من طرف مختلف الأطراف، بما يتيح لامحالة تكثيف الايجابيات والوقوف عند السلبيات التي لايمكن الاطمئنان إليها. إننا نطالب بترشيد التعاطي مع المبادرة التي تحمسنا لها منذ البداية رغم الملاحظات التي تهم الشكل، ويهمنا أن تبقى التعبئة الشاملة محققة، ومحاطة بأمال ملايين المغاربة ضحايا سياسات اجتماعية فاسدة سادت في مغرب الماضي.